مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

قضايا التربية في منظور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

Education issues in the perspective of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi

صديقة الفتني

جامعة محمد خيضر بسكرة، sadika.elfetni@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/09 تاريخ القبول: 2023/06/03 تاريخ النشر: 2023/06/29

الملخص:

يعتبر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من أهم رجال الإصلاح الذين اهتموا بقضايا التربية والتعليم في الجزائر، وعليه نهدف من خلال هذه الدراسة النظرية للوقوف على إسهاماته التربوية وأفكاره الإصلاحية معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي.

وخلصت الدراسة لعدة نتائج أهمها: أن الإبراهيمي يركز على التربية قبل العلم والتعليم فهي أساس بناء المجتمع الإسلامي، كما أولى عناية بالمعلم وضرورة تكوينه على أن يكون قدوة يحبب العلم للمتعلمين، كما أكد على ضرورة أن يجمع المحتوى التعليمي بين الأصالة والمعاصرة على أن تشرف عليه أيادي وطنية خالصة.

من خلال النتائج السابقة نوصي بضرورة الاهتمام بالأفكار الإصلاحية التربوية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي واستغلالها فعليا في معالجة وإصلاح المنظومة التربوية الجزائرية، بدل استعارة النماذج الإصلاحية من الدول الغربية.

الكلمات المفتاحية: التربية، الإصلاح، محمد البشير الإبراهيمي.

Abstract :

Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi is considered one of the most important reformers who cared about the issues of education in Algeria, and accordingly, we aim through this theoretical study to find out his educational contributions and his reform ideas, relying on the descriptive approach.

The study concluded with several results, the most important of which are: that Al-Ibrahimi focuses on education before knowledge and education, as it is the basis for building an Islamic society. Pure patriotism..

Through the previous results, we recommend the need to pay attention to the educational reform ideas of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi and to exploit them effectively in addressing and reforming the Algerian educational system, instead of borrowing reform models from Western countries.

***Keywords**: Education, reform, Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi.*

•**المؤلف المرسل:** صديقة الفتني، **الإيميل:** sadika.elfetni@univ-biskra.dz

■ مقدمة:

لقد كانت مسألة التربية والتعليم من أهم المسائل التي ركزت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا بدافع إيمانهم القوي بأن العدو الأكبر للشعب الجزائري هو الجهل وضعف الدين وانتشار البدع والخرافات، لهذا نجد أن كل جهود الجمعية قائمة على التدريس والتأليف وإلقاء الخطب والمحاضرات في المساجد والنوادي.

ويعتبر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من أبرز رجال الإصلاح الذين زعموا إلى محاربة الجهل والعمل على تحريك المجتمع نحو العلم والمعرفة إبان الاستعمار الفرنسي.(حاكمي، 2020، ص 357) فاهتم بالجوانب التربوية والتعليمية، حيث نظر إلى التعليم على أنه الوسيلة المثلى التي يمكن من خلالها بناء جيل واعي ومثقف ومتحد، تحركه الأخلاق والمبادئ والقيم الفاضلة.

وعليه تكمن أهمية الموضوع في المكانة التي يحتلها الشيخ الإبراهيمي كمفكر ومصلح جزائري اهتم بمعالجة مختلف القضايا الاجتماعية والدينية داخل الجزائر وخارجها، كما تكمن أهمية الموضوع في الجهود والإسهامات التربوية التي تركها الإبراهيمي كإرث معرفي صالح في كل زمان ومكان، يمكن أن نسترشد به في معالجة قضايا التربية والتعليم اليوم. وتأتي دراستنا للإجابة على الإشكالية التالية: فيم تتمثل الجهود التربوية والتعليمية التي خصها الإبراهيمي بالمعالجة والاهتمام؟

ومن أجل الإجابة على هذا السؤال المحوري اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي لوصف ملامح الفكر التربوي لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وعلى هذا الأساس قمنا بتقسيم دراستنا إلى ثلاث محاور رئيسية:

المحو الأول: التعريف بشخصية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

المحور الثاني: ملامح التعليم في منظور الإبراهيمي

المحور الثالث: أركان العملية التعليمية في منظور الإبراهيمي

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

المحور الأول: التعريف بشخصية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

1. مولده ونشأته:

ولد محمد البشير الإبراهيمي بقرية (أولاد إبراهيم) برأس الوادي قرب سطيف غربي مدينة قسنطينة مع بزوغ شمس 14 من 1889م، ويرجع نسبه إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأنشأ دولة الأدارسة في المغرب، وإدريس هو الجذر الذي تنحدر منه أسر آل البيت، وهو من أنساب آل البيت الثابتة التي لا مغمز فيها.(يحياوي، 2022، ص 469)

نشأ في بيت كريم من أعرق البيوت الجزائرية وأتم حفظ القرآن الكريم على يدي عمه الشيخ "المكي الإبراهيمي" الذي كان عالما آنذاك بعلوم النحو والصرف والفقه في الجزائر، فاعتنى بابن أخيه عناية فائقة وفتح له أبوابا كثيرة في العلم. فحفظ الشيخ "البشير الإبراهيمي" قدرا كبيرا من متون اللغة وعددا من دواوين فحول الشعراء، ووقف على علوم البلاغة والفقه والأصول. ولما مات عمه تصدر هو تدريس ما تلقاه على يديه لزملائه في الدراسة، وكان عمره آنذاك أربعة عشرة عاما.(هوارية، 2022، ص 436)

لقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي له بعد النظر وعمق التفكير وحدة الخاطر واستنارة البصيرة وسرعة الاستنتاج واستشفاف المخبآت، حكيم بكل ما تؤديه الكلمة من معنى، منقطع النظير في سداد الفهم وصدق العزيمة، خصب القريحة ومستقل الفكر وتمكن الحجة في فهم أسرار الشريعة ودقائقها وتطبيقها، وفي البصر بسنن الله في الأنفس والآفاق، وفي العلم بطبائع الاجتماع البشري وعوارضه ونقائصه.(عمارة، د.س، ص 45)

2. مرجعيته الإصلاحية:

أ- المرجعية الدينية: كان الإسلام المرجعية الأولى للإبراهيمي، فقد حفظ القرآن منذ صباه وقرأ الحديث، ودرس التوحيد والفقه والأصول وسائر علوم الإسلام، وحرص على أن يبين باستمرار رسوخ الإسلام في الجزائر، وأنه أصل أصول حياتها، وأنه منها بمثابة الروح من الجسد إذا انفصل أحدهما عن الآخر معناه الموت. وقد شرح الإبراهيمي هذا الإسلام العظيم بقلمه الفياض، وعباراته المشرقة، فبيّن أسراره، وجسّد آثاره، وكشف اللثام عن عقيدته الحنيفية، وعن شريعته السمحة،

وعن قيّمه الملائمة للفطرة المهذبة للغريزة، التي تسمو بالإنسان إلى مراتب الإيمان والإحسان.(ذوادي، 2014، ص 47)

ب- المرجعية القومية العربية: إن القومية العربية عند الإبراهيمي ليس المقصود بها انتماء لمن كان أصله عربيا بل منح الإبراهيمي الجنسية العربية لكل من يتخذ لغة القرآن لسانا له. وذلك كله تفسيرا لقوله عليه الصلاة والسلام: "ليست العربية بأحَدِكم من أب ولا أم، وإنما هي من اللسان" فمن تكلم بالعربية فهو عربي"، ويقول الشيخ الإبراهيمي بهذا الصدد: "فليس الذي يكوّن الأمة، ويربط أجزائها، ويوحد شعورها، ويوجهها إلى غايتها، هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد".

ج- المرجعية الوطنية: إن الوطنية عاطفة تعبر عن ولاء الإنسان لبلده، والانتماء إلى دولة معينة، وكذا تعبير عن واجب الإنسان نحو وطنه، فقد آمن الإبراهيمي بكل مضامينها، فوطنيته هي من جعلته يكون مربيا ومصلحا ثائرا على الاستعمار، وقد حاول ترسيخ هذه المرجعية في الجيل الذي رباه تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونجح في ذلك نجاحا كوّن للجزائر جيلا رفع راية الثورة التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي.(حاكمي، 2020، ص 373 – 375)

3. مؤلفاته:

إن أهم ما تميزت به كتابات الإبراهيمي هو حفاظها على حس المقاومة بمفهومها الجمالي النابض في كل مفردة أو فكرة اقتناها للتعبير عن مشروعه الطلائعي النهضوي، حيث ما خلت آثاره النثرية الفنية من استخدام للأثر القرآني تركيباً وتصويراً، وموسيقى، أيضاً الكتابة على منوال القدماء واختيار الأغراض الأدبية التقليدية ومحاكاتها كالخطابة، والمقامة والمقال... بأسلوب يوصف بالجودة ورِفعة المستوى، فكانت كتاباته ترتكز على محفوظه من التراث(بن عمر، 2012، ص 117)، ومن بين مؤلفاته نجد:

- عيون البصائر وهي مجموعة مقالاته التي نشرت في جريدة البصائر.

- النقايات والنفايات في لغة العرب، وهو أثر لغوي يجمع كل ما هو على وزن "فِعَالَة" من مأثور الشيء ومرذوله.

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

- أسرار الضمائر العربية.
- التسمية بالمصدر.
- الصفات التي جاءت على "فُعْل".
- الاطراد والشذوذ في العربية.
- رسالة مخارج الحروف.
- رواية كاهنة الأوراس، تعتبر من النثر الجزائري وهي غير مطبوعة.
- الملحة عبارة عن أرجوزة نظمها في المنفى.
- فصيح العربية من العامة الجزائرية.
- أرجوزة تكونت من ستة وثلاثين ألف بيت من الشعر ضمنها مختلف تقاليد الشعب الجزائري وعاداته.
- وقد طبعت أخيرا مجموعة من مؤلفاته في خمسة مجلدات جمعها ابنه الدكتور "أحمد طالب الإبراهيمي" بعنوان: "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي".(هوارية، 2022، ص 437 – 438)

المحور الثاني: ملامح التعليم في منظور الإبراهيمي

1. المدرسة:

لا تعدو أن تكون المدرسة في رأي الإبراهيمي المَعبَر الذي يمر فيه الطفل من حياة المنزل الضيقة إلى الحياة الاجتماعية بأوسع معانيها، ولذلك يجب أن تتحول إلى مجتمع حقيقي يمارس فيه الطفل الحياة الاجتماعية، إنها ليست بناية فحسب بل مجتمع حي يسهم في التربية بأوسع معانيها، إذ يرى بأنها: "بنيان ينتج فن البناء، ومشكاة تغذي النشء بفاكهة العقل التي جذّرها في التاريخ وعنانها في المستقبل، وأصلها ثابت".(حسين، 2012)، كما يرى بأن المدرسة هي: "السبيل القويم الذي يؤدي إلى حفظ الأجيال من الشرور المتوارثة وإلى توثيق الأخوّة بينهم، وإلى توحيد أفكارهم ومشاربهم واتجاهاتهم، وإلى تصحيح فهمهم للحياة، وتسديد نظرتهم إليها، وتشديد عزيمتهم في طلبها، فالمدرسة تصقل الفكر والعقل واللسان وتسيطر عليه، وتوجه الجيل الناشئ إلى الإسلام والعرب،

وإلى الشرق والروحانية، وعلى هذه المدرسة يتوقف جزء كبير من ذلك الواجب الثقيل، وعليها يتوقف حظ كبير مما نرجوه".

إن الغاية من هذه المدرسة هي تربية هذا الجيل وتعليمه وغاية الغايات من هذه التربية هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصحّ أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق، متحد المشارب، مضبوط النزعات، ينظر إلى الحياة نظرة واحدة، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاه واحد، وغاية التعليم هي تفقيهه في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه.(الإبراهيمي، 1997، ج3، ص 274)

ويرى الإبراهيمي أن تحقيق هذه الغاية لا يتم على وجهه المثمر إلاّ بتوحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم، ولا يتم توحيد المنهاج والبرنامج إلا بتوحيد الإدارة، ولا يتم توحيد الإدارة إلا بتوحيد الإشراف العام، بدرجات متلازمة سبقتنا بها الأمم التي بنت حياتها على تجربة النافع والأخذ بالأنفع، فقطعت الأشواط البعيدة في الزمن القريب.(الإبراهيمي، 1997، ج3، ص 275) وعليه يرى الإبراهيمي أنه ينبغي أن تقوم المدرسة بتربية الأجيال على:

- الجمع بين التربية والتعليم، إذ يقول: "... أن العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم، وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أممهم والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية.(حوفاف، 2022، ص 96)

- تربيتهم على التحاب في الخير والتآخي في الحق والتعاون على الإحسان والصبر إلا على الضيم، والإقدام إلا على الشر، والإيثار إلا على الشرف، والتسامح إلا في الكرامة.

- تربيتهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع.

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

- تنمية ملكة التعليل لدى الأجيال من خلال تبيان العلل والأسباب، فإن الغفلة عن الأسباب والعلل هي إحدى مهلكات الأمة.

- مزج العلم بالحياة، والحياة بالعلم، ولا تعمروا أوقاتهم كلها بالقواعد، فإن العكوف على القواعد هو الذي صير علمائنا مثل القواعد وإنما القواعد أساس، وإذا أنفقت الأعمار في القواعد فمتى يتم البناء؟(الإبراهيمي، 1997، ج3، ص 271 - 272)

كما أشار الإبراهيمي في حديثه عن المدرسة إلى ضرورة وجود شرطين أساسيين في تحديد معالم النظام التعليمي يتمثلان في:

أ- الشرط الأول: أن يكون هذا التعليم تعليما عربيا خالصا في لغته وأهدافه العامة وغاياته ومراميه، بحيث ينسجم مع مقومات الشعب الجزائر وتراثه الحضاري.

ب- الشرط الثاني: أن البرامج التعليمية يجب أن تضعها أيادي وطنية خالصة، تغرس في أبنائنا خصوصية الأمة وثوابتها وعقيدتها الإسلامية التي تعيش في أعماق كل فرد من أفرادها.(معزوزن، 2019، ص 162)

2. تعليم المرأة وكبار السن:

أكد الإبراهيمي على ضرورة تعليم المرأة، حيث يرى أن الخطوة الأولى لتحرير المرأة الجزائرية هو تعليمها تعليما دينيا وطنيا، كما اعتبر أن الحجاب لا يقف عائقا أمام تطورها، وهذا ما ذهب إليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس أيضا إذ يقول: "إن أردتم إصلاحها - يقصد المرأة – فإن حجاب الجهل هو الذي أخرّها، وأما حجاب الستر فإنه يشترط أن يقوم هذا التعليم على أساس من المثل الدينية والقومية والأخلاقية فيكون تعليما إسلاميا قويا بروحه وقائما بفضيلته.

وأشار أدباء جمعية العلماء المسلمين أن فضائل التعليم على المرأة وعلى الأسرة وعلى المجتمع باعتبار أن المرأة مدرسة إن أعدتها أعددت أمة، واستطاعت جمعية العلماء المسلمين بفضل جهودها أن ترفع نسبة تعليم النساء الجزائريات برغم من الضغوطات والصعوبات التي كانت تواجهها إبّان الاستعمار.(حاكمي، 2020، ص 362 – 363)

كما لم يهمل الشيخ الإبراهيمي تعليم فئة الكبار، بل حرص على الاهتمام بهذه الشريحة من المجتمع وأخذها حقها من التعليم، حيث قال في هذا الشأن: "... رجعنا البصر إلى الكبار الذين فاتهم سن التعليم بحكم أعمارهم وشلت الأمية مواهبهم. وهذا القسم بالشفقة والرحمة من سابقه، وأهم ما تعلمه الجمعية في حق هؤلاء هو الجهود الفردية فيجب أولا أن تتقدم لكل أعضائها العاملين وتأخذ عليهم عهد الله وميثاقه على أن يعلم كل واحد منهم أميّا أو أكثر من أقاربه مبادئ الكتابة والقراءة والعمليات الأربع في الحساب، ويحفّظه سورا من القرآن على صحتها".(هوارية، 2022، ص 444 – 445)

3. تعريب التعليم:

لقد كانت اللغة العربية قبل الاحتلال الفرنسي هي اللغة الرسمية للدولة الجزائرية والشعب الجزائري معًا، وكانت لغة الدنيا والدين، وعلى هذا الأساس فالتعريب هو تصحيح الوضع اللغوي المفتعل الذي خلفه النظام الاستعماري وبالتالي فهو جزء لا يتجزأ من معركة التحرير الوطني الكبرى، وعليه وضع الإبراهيمي خطة علمية وعملية تهدف إلى تعريب التعليم وتعليم اللغة العربية بدءا من المرحلة الابتدائية حتى التعليم الجامعي، تتجلى في الآتي:

أ- المرحلة الابتدائية: ركّز الإبراهيمي على المرحلة الابتدائية التي وصفها بمرحلة التكوين اللغوي، وهي المرحلة التي يجب أن تدخل فيها متن اللغة على طريقة ابن سيدة في "المخصص"، الذي يعنى بترتيب الألفاظ اللغوية على المعاني لا على الحروف الهجائية، وعلى طريقة كتب المصغرة كـ "كفاية المتحفظ" للأجدابي، و"الألفاظ الكتابية" للهمداني. ويبدأ التلميذ فيها في معرفة أسماء أعضاء جسمه، ومعرفة ما هو منسوب إليها من أعمال، وكل ما هو متصل بها، ثم يتدرج إلى معرفة الأشياء المتصلة به مما يقع تحت نظره ويدخل في تصرفاته اليومية.

ويشدد الإبراهيمي في هذه المرحلة على مسألتين في غاية الأهمية، أما الأولى فتتمثل في حمل التلامذة على التكلم بالعربية الفصحى، وأما الثانية فأن لا ينطق المعلّمون أمامهم بكلمة أعجمية حتى لا تخدش ملكاتهم، لذلك أكد الإبراهيمي على تكوين المعلمين في العربية تكوينا يؤهله لأداء مهمته،

فقال: "إن أكبر عقبة تلقانا في هذا الطور هي تعريب المعلم، فيجب أن نحتاط لها وألا نوكل تعريب أبنائنا إلى معلم غير معرّب.

ب- المرحلة الثانوية: في هذه المرحلة نتوسع لهم في القواعد والتراكيب التي تقوي ملكاتهم وتنميها، ونتساهل قليلا في إدخال الألفاظ الأعجمية في علوم الطب والكيمياء وسائر العلوم الكونية... وأن يمّرنوا على الخطابة ويكلّفوا بإلقاء محاضرات قصيرة تنتقى لها الألفاظ والتراكيب، وأن تُفرض عليهم مطالعة كتب مختارة... وأن لا تكثر عليهم حصص اللغات الأجنبية حتى لا تتصادم اللغات في أذهانهم فينشئوا ضعافا في الكل.

- **المرحلة الجامعية:** في هذه المرحلة تكون الملكة العربية قد استحكمت في التلميذ وتم تعريبه على أكمل وجه، فإذا توسّع في اللغات الأجنبية فلا يخشى عليه انتكاس ولا تراجع... فلا تزاحمه لغة أخرى مهما توسّع في أصولها وفروعها، ولأن أفكاره وتصوراته الذهنية أصبحت كلها عربية، يملك تصويرها والتعبير عنها باللغة العربية بسهولة.(ولد النبية، 2016، ص 246 – 256)

المحور الثالث: أركان العملية التعليمية في منظور الإبراهيمي

1. المعلم:

يصف البشير الإبراهيمي المعلّمين بأنهم جنود العلم، ولكلمة جندي معنى يبعث الروعة، ويوحي بالاحترام، ويغلي القيمة، لأنه في غاية معناه حارس مجد، وحافظ أمانة، وقيم أمة، لذلك كان من واجبات الجندي الصبر على المكاره والثبات في الشدائد والأزمات... فإذا استرسل الجندي في الجزع والشكوى، أو خانه الصبر فلاذ بالضجر، أخطأ النصر، وضاع الثغر، فيخاطبهم قائلا: "أنتم حرّاس دروب، ومرابطة الثغور، فاصبروا واثبتوا، وقد كفيناكم سداد الرأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل.

وأنتم ممثّلوا جمعية العلماء في ناحية من أهم أعمالها، وهي التربية والتعليم فكل واحد منكم صورة مصغّرة من الجمعية في نظر الأمة، وجمعية العلماء المسلمين هي رمز الدين الصحيح، وهي حارس الفضيلة الإسلامية، وهي المثال المفسر للحكمة المحمدية بأحسن تفسيراتها، وهي المثل المضروب في مقاومة الباطل والمبطلين، وهي مظهر القدوة الدينية اعتقادا وعملا... فكونوا في

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

مظهركم ومخبركم أمثلة صحيحة منها، واعلموا أن كل زلة منكم وإن صَغُرت محسوبة على جمعية العلماء، منسوبة إليها.(الإبراهيمي، 1997، ج3، ص 270)

ويحصر الإبراهيمي الخصائص التي ينبغي أن يتصف بها المعلم في الآتي:

- التحلي بتقوى الله وإخلاص العمل لله، فهي العُدّة في الشدائد، والعون في الملمات وهي مهبط الروح والطمأنينة، وهي متنزل الصبر والسكينة، وهي مبعث القوة واليقين، وهي التي تثّبت الأقدام في المزالق وتربط على القلوب في الفتن.

- الترغيب: يشير الإبراهيمي في خطابه للمعلمين إلى أهمية أسلوب الترغيب في تربية الأطفال، بقوله: "إن من الطباع اللازمة للأطفال أنهم يحبون من يتحبب لهم... فواجب المربي الحاذق المخلص إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق وأن يصلح نزعاتهم بأيسر تكلفة... هو أن يتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسألهم عن أحوالهم باهتمام ويضاحكهم، ويحادثهم بلطف وبشاشة، ويبسط لهم الآمال ويظهر لهم من العطف والحنان ما يحملهم على محبته، فإذا أحبوه أطاعوه وامتثلوا لأمره، وإذا أطاعوا أمره وصل من توجيههم في الصالحات إلى ما يريد، وتمكّن من حملهم على الاستقامة وطبعّهم على الخير والفضيلة، فإذا ملك نفوسهم حبّب إليهم المدرسة والقراءة والعلم.(جميل، 2020، ص 20)

- القدوة: يشير محمد البشير الإبراهيمي إلى أهمية طريقة القدوة في التربية فيقول: "إن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحا، لأنهم يأخذون منه بالقدوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين... كونوا لتلاميذكم قدوة صالحة في الأعمال والأحوال والأقوال، لا يرون منكم إلا الصالح من الأعمال والأحوال، ولا يسمعون منكم إلا الصادق من الأقوال، إن الكذب في الأحوال أضر على صاحبه وعلى الأمة من الكذب في الأقوال... وكم أهلك هذه الأمة المتظاهرون بالصلاح، والمتظاهرون بالزعامة والمتظاهرون بالإمامة.(جميل، 2020، ص 21)

- الرفق والابتعاد عن الحزبيات لأنها تفتك بالخير والعلم.

- حسن العشرة في الاجتماع وحفظ العهد والغيب عند الافتراق.

- اتقاء مواطن الشبه وإجرار الألسنة عن مراتع الغيبة والنميمة وفطمها عن مراضع اللغو واللجاج لأنها مفتاح باب الشر وثقاب نار العداوة والبغضاء.(زيدي،2019، ص 58 – 59)

وقد اهتم الإبراهيمي بتكوين المعلمين من خلال الاجتماعات التي كان يعقدها مع المسئولين عن التعليم العربي بالمدارس الحرة، ومع المفتشين الذي عينتهم (لجنة التعليم العليا) لمتابعة العمل المدرسي وتكوين المعلمين من خلال النصائح والإرشادات، زيادةً على هذه الجهود كانت الكلمات والمقالات الواعظة التي يكتبها الإبراهيمي والموجّهة أساساً إلى المعلمين بمثابة برنامج تكويني يستهدف رفع مستوى المعلمين، وتنمية خبراتهم وإكسابهم المعرفة الصحيحة بحقيقة الأطفال وبطبيعة العملية التعليمية وما تستلزمه، وبالطرائق البيداغوجية التي ينبغي اعتمادها في تنمية الوعي بالمسئولية المنوطة بهم.(فضيل، 2017)

2. المتعلم:

يؤكد الإبراهيمي على أهمية المتعلم لأنه أساس البناء ورمز القوة للأمة لأن بتعليمه ينهض المجتمع من سباته ويكسر أغلاق الجهل وكل أنواع التخلف والاستعمار، فهو يمثل المستقبل لذلك وجب الاهتمام به وبكل ما يخدمه، فخدمته هي خدمة للوطن، ولهذا نجده يخاطب المتعلمين دوما بنداء الأب المشفق ومن بين ذلك نجده يقول: "إنكم يا أبناءنا مناط أمالنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصبح، إنكم لا تضطلعون بالواجبات إلا إذا انقطعتم لطلب العلم، وتبتلتم إليه تبتيلا، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله، وعكفتم على أخذه من أفواه الرجال وبطون الكتب، واستثرتم كنوزه بالبحث والمطالعة، وكثرة المناظرة والمراجعة، ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار".(بن طولة. شيخ، 2022، ص 244) وعلى هذا الأساس يقدّم الإبراهيمي جملة من النصائح موجة للمتعلمين، يمكن اختصارها في:

- عدم الاعتماد على حلق الدروس وحدها.
- تعزيز هذه الحلق بحلق المذاكرة ذلك أن المذاكرة لقاح العلم.
- عدم الاكتفاء بالكتاب المقرر.

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

- اختيار النافع والمفيد من الكتب.
- توزيع الوقت بشكل يجعل من الارتياح البدني سبيلا للقوة العلمية وليس هدرا للوقت.
- اعتبار القرآن الكريم المبتدى والمنتهى، إن الغاية من التعليم وسعي المتعلم فيه هدفه الأسمى التفقه في الدين واللغة ومعرفة التاريخ.(زيدي،2019 ، ص 59 – 60)

3. المحتوى التعليمي:

يعتبر المحتوى التعليمي الوسيلة التي تستعملها المدرسة لتتمكن من الوصول إلى تحقيق الأهداف التي يؤمن بها المجتمع، والتي اشتقت من الفلسفة التربوية لذلك المجتمع. وذلك لتحقيق أهدافه في تعليم أبنائه الاتجاهات والممارسات والمبادئ والقيم التي يؤمن بها المجتمع، فوضع المنهاج يحتكم إلى أسس علمية تتبنى التخطيط العلمي الدقيق الذي يستبعد الأهواء والرغبات الشخصية، (معزوزن، 2019، ص 158)

وقد اعتنى البشير الإبراهيمي بالمادة العلمية التي تعلّم وتلّقن للطالب وركز على انتقاء ما يقدّم للمتعلمين من مواد تبني المتعلم نفسيا، ذهنيا وخلقيا، إذ ليس كل من يكتب بالعربية أو يتثّقف بالثقافة الفرنسية، ولا كل من يستطيع أن يخطب في المجتمع، أو يحز من العلوم ضروبا، يسمى مثقفا، أو عالما، أو مصلحا، وهو في ذاته وشخصيته عار من الحقيقة.(حسين، 2012) وعليه رأى الشيخ الإبراهيمي أن المواد التعليمية ينبغي أن تتصف بالآتي:

أ- التركيز على اللغة العربية في التدريس فهي أساس التربية والتعليم فهو يرى بأن الصواب أن نتعلم ديننا ولغتنا وكل ما يخدمها من علوم وفنون من البدايات إلى النهايات.

- أن يكون المحتوى مسايرا للعصر، يقول والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه لا تعليما يحمل جراثيم الفناء.

- أن تكون الكتب سهلة مبسّطة، يقول واقرؤوا غيره من الكتب السهلة والمبسوطة في ذلك العلم... وسينتهي الإصلاح الذي تقوم به إدارات جامعاتنا إلى اختيار كتب سهلة ممتعة في كل علم تفرض عليكم قراءتها ومطالعتها.

- أساس العلوم هو القرآن الكريم، لذلك ينبغي حفظه والاستشهاد به في المحتوى العلمي، يقول: والقرآن القرآن تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة...

- أن تكون المادة العلمية أصيلة مأخوذة من بطون الكتب.

- تنوع المحتوى التعليمي وإثرائه بمختلف العلوم، بل كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلوم الطبيعة والأدب والتربية والحكمة والطب.

- توحيد البرنامج والمنهاج في المحتوى التعليمي، يقول في هذا: إننا نجري على منهاج واحد ونسير على برنامج واحد عاهدنا الله على تنفيذه.(حاكمي، 2020، ص 371 – 372)

- يؤكّد على ضرورة الاعتناء بالموضوعات المتصلة بالجانب الإيماني وبتنمية الفضائل في المحتوى التعليمي، حيث يرى أن المحتوى الجيد للمادة التعليمية ينبغي أن يكون متوازنا بحيث يركّز على الفضائل كما يركّز على المعارف، إذ يقول متوجها للمربيين: أن العلم لم ينهى مفسدا عن الإفساد...بل ما زاد المتجردين من الفضيلة إلا ضراوة بالشر... فاجعلوا الفضيلة رأس مال نفوس تلامذتكم واجعلوا العلم ربحا. (جميل، 2020،ص 18)

- أن يكون المحتوى التعليمي مسايرا للعصر، وأن يقدّم للمتعلمين ما ينفعهم في حاضرهم ومستقبلهم، إذ يرى أن الملكات لا تكفي فيها القريحة والطبع حتى تمدها الصنعة بإمدادها، مادامت المواضيع تتجدد، والمعاني تتوارد وتتشابه ثم تتمازج، ثم تتمايز، فمن الواجب أن ننحت من هذا المعدن القديم جوهرة ونصقلها.(حسين، 2012)

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

■ الخاتمة:

قمنا من خلال هذه الدراسة بعرض مبسط وموجز لأهم الأفكار التربوية التي خصها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالاهتمام والتناول، وقد أسفرت الدراسة على جملة من النتائج يمكن حصرها في الآتي:

- يعتمد الفكر الإصلاحي لدى الشيخ البشير الإبراهيمي على الدين الإسلامي، القومية العربية والوطنية باعتبارهم مرجعيات أساسية تتحقق من خلالها غايته من الإصلاح بمختلف أبعاده وتجلياته.

- ينظر للتعليم على أنه وسيلة وأن التربية غاية، والغاية لديه تسبق الوسيلة، على أن يستهدف التعليم بداية تهذيب النفس والسلوك من خلال إكساب المتعلمين القيم والأخلاق الإسلامية.

- تبجيل النوع على الكم في التعليم فقيمة المعلومة يكمن في مدى فهمها والعمل بها، وهذا أولى وأفضل من كثرة المعلومات وحشوها في أذهان المتعلمين دون فهم ولا تطبيق.

- اهتم بالمحتوى التعليمي وعلى ضرورة أن تشرف عليه أيادي وطنية خالصة وأمينة، فيكون أصيلا يغرس خصوصية الأمة وثوابتها، ويكون مسايرا للعصر يهتم بالتطورات العلمية الحاصلة.

- اهتم بتعريب التعليم وتعليم اللغة العربية في المراحل التعليمية وفق منهجية علمية ومنطقية، تأخذ في الحسبان خصوصية المرحلة العمرية للمتعلمين وقدراتهم العقلية.

- اهتم بالمعلم بشكل كبير ورفع من قيمته، وركز على ضرورة تكوينه، كما أكد على أخلاقياته بحيث يكون قدوة للمتعلمين ونموذجا لهم في الخُلق والعمل.

- أكد على المتعلم لأنه الأساس الذي يتوقف عليه حاضر ومستقبل الأمة، ولذلك وجب الاهتمام بكل ما يخدمه، وترغيبه في العلم والتعلم وأن لا يكتفي بما يقدم له في المدارس.

- اهتم بتعليم كبار السن وضرورة أخذ حقهم من التعليم، من خلال تعليمهم الكتابة والقراءة والحساب، كما أكد على تعليم المرأة دينيا وقوميا ووطنيا باعتبارها مدرسة إن تم إعدادها بالشكل الصحيح فقد أعددت أمة.

من خلال النتائج السابقة الذكر نوصي بضرورة الاهتمام بالأفكار الإصلاحية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي بشكل عام، وأفكاره التربوية بشكل خاص، واستغلالها فعليا في إصلاح المنظومة التربوية الجزائرية، لما لها من فائدة على الأمة في حفظ ثوابتها وذاكرتها وتنوير مستقبلها، وهذا ما يؤكد عليه الإمام عبد الحميد ابن باديس رفيق درب الإبراهيمي وصديقه، إذ يقول: "عجبت لشعب أنجب مثل الشيخ البشير أن يضل في دين أو يخزى في دنيا، أو يذل لاستعمار..."(عمارة، د.س، ص 15)

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد الثامن العدد 01 (2023) * ص 67-82

■ المراجع:

1- ذوادي بلقاسم، معالم الفكر الإصلاحي والتربوي عند محمد البشير الإبراهيمي، حكيم العلماء وعالم الحكماء، مجلة المعيار، المجلد 05، العدد 09، 2014.

2- هوارية الحاج علي، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودوره التربوي والإصلاحي، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 06.

3- بن عمر سهيلة، جمالية المقاومة –الرد بالكتابة – قراءة في كتابات البشير الإبراهيمي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 04، العدد 04، 2012.

4- يحياوي زكية، شخصية الشيخ البشير الإبراهيمي وأثرها على الفكر التربوي"بحث موجه لعدد خاص بيوم العلم"، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 06، العدد 01، 2022.

5- حاكمي نورة، الجهود التربوية والتعليمية ومرجعياتها في الجزائر عند البشير الإبراهيمي، مجلة مقامات للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، المجلد 04، العدد 02، 2020.

6- زيدي الخداوية، التربية والتعليم الرؤية والإستراتيجية قراءة في آثار البشير الإبراهيمي، مجلة الموروث، المجلد 07، العدد 01، 2019.

7- جميل محمد جبر السيد عبد الله، الفكر التربوي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية في ضوء رسالته الموسومة بـ "مرشد المعلمين"، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 01، العدد 02، 2020.

8- ولد النبية يوسف، إستراتيجية البشير الإبراهيمي لتعريب التعليم، مجلة قراءات، المجلد 06، العدد06، 2016.

9- عمارة محمد، الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، د.س.

10- بن طولة محمد. شيخ فتيحة، الشيخ البشير الإبراهيمي وفلسفته في التربية والتعليم، مجلة المعيار، المجلد 26، العدد01، 2022.

11- حوفاف لويزة، منهج التربية والتعليم في آثار العلامة محمد البشير الإبراهيمي فكريا وعمليا، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 03، العدد 02.

12- معزوزن سمير، التفكير التربوي عند البشير الإبراهيمي، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 05، العدد 02.

13- الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

14- فضيل عبد القادر (2017)، التربية عند محمد البشير الإبراهيمي دراسة تحليلية للمنهج التربوي الذي خطه لجمعية العلماء وعالج من خلاله مسائل التعليم، على الموقع https://binbadis.net/archives/2085 تمت زيارته يوم 2023/05/01.

15- حسين ولهة (2012)، نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي، على الموقع https://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/viewFile/822/662 تمت زيارته يوم 2023/05/01.